

نجمة رياضية تصنع فرح التونسيين

أنس جابر

تغيير الصورة النمطية للجسد الأنثوي العربي



أمينة جبران
صحافية تونسية

● طموح جابر أن تصبح أول عربية تبلغ ربع نهائي البطولة الفرنسية، بعدما أصبحت أول عربية تصل إلى ربع نهائي إحدى بطولات "الغرانด์ سلام".

قامت الرئاسة التونسية بتكريمها. وقال عنها الرئيس قيس سعيد "إن مضرها درع وسيف لتحقيق مزيد من النجاحات، وتظل أحسن سفيرة للرياضة التونسية، ومثالا للمرأة والشباب التونسي المتألق في كل المجالات".

تقول جابر عن إنجازها "الأمر ليس مستحيلا والحقيقة أنني حققت. لقد درست في تونس من عمر الثالثة حتى 16 أو 17 عاما وبالتالي أنا منتج تونسي بحت". ولا يعني أن طريق جابر مفروش بالورود حيث سبق أن أبدت استياءها من تواضع دعم وزارة الرياضة لها، فهو قطاع يعاني بدوره صعوبات في البلد منذ اندلاع ثورة يناير، خاصة في ما يتعلق بالرياضة النسائية.

ورغم إقرارها بأن "الكثير من الأمور تغيرت حقا عما كانت عليه عندما فزت باللقب في 2011، فقد أصبحت الأمور أصعب بعض الشيء عقب الثورة، لم تكن الأوضاع آمنة في ذلك الوقت، لكن الأمور عادت إلى طبيعتها الآن". وهي لا تبدي اهتماما بالخلافات السياسية في بلدنا محاطة على حياضها وتوازنها. والمهم بالنسبة إليها هو تحفيز الشباب وإعادة الثقة في قدراته وصناعة الأمل رغم قمامة واقعه.

ملهمة للشباب

تبعث جابر عبر إصرارها في كل مسابقة عالمية على النجاح رسالة أمل لكل الشباب المحبط أن يوسع أن يخلق من الضعف قوة، ومن الفشل نجاحا ومن الهزائم انتصارات. وتقول في هذا الصدد "دائما أحاول تقديم النصائح إلى الشباب بالقول في الحياة لا شيء مستحيل، يجب أن نؤمن بقدراتنا التي هي طريقنا إلى النجاح". ولطالما عبرت عن أملها في "إلهام العديد من الأجيال الشابة في تونس أو العالم العربي لاسيما في أفريقيا". وبالفعل استطاعت أن تكون ملهمة للشباب بإنجازها الذي احتفى به الاتحاد الدولي للتنس.

وكان الاتحاد الدولي قد نشر على حسابه الرسمي بموقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، فيديو يوثق لنشأة لاعبة عربية إلى دور الثمانية في بطولة أستراليا المفتوحة مطلع هذا العام وفوزها بدورة رولان غاروس على مستوى الشابات عام 2011. وعلق الاتحاد الدولي على مسيرتها قائلا "أنس جابر هي ملهمة الجيل الجديد للاعبين التنس العرب، وهي تدرك أنه سيكون لها دور ريادي للأجيال القادمة وهي مستعدة لهذا التحدي".

إلى أنها حين بلغت العاشرة كانت تعد أمها في العديد من المرات «بشرب القهوة في رولان غاروس وهي تشاهدها على الملاعب الفرنسية».

الشباب والسياسيون مختلف

أيدولوجياتهم في تونس يجمعون على الإشادة بقدرات الرياضية الشابة، ولم يترددوا في التعبير عن إعجابهم وفخرهم بما عبر صفحاتهم على الفيسبوك أو تغريدات التويتر

التحقت في عمر الثانية عشرة بالمعهد الرياضي في المنزه بالعاصمة تونس والذي يضم أفضل الرياضيين الشبان في البلاد. ومنذ ذلك الحين انطلقت مسيرة رياضية رائعة. وبدأ اسمها يلمع في عام 2011 حين استطاعت الفوز بدورة رولان غاروس للناشئات، وهي أول لاعبة عربية تفوز بلقب الفردي للناشئين في البطولات الكبرى لكرة المضرب منذ أن فاز إسماعيل الكبري لكرة المضرب منذ أن فاز إسماعيل الشافعي بلقب ويمبلدون للذكور في عام 1964. بعد ما يقرب من عقد من اللعب في المقام الأول على مستوى الاتحاد الدولي لكرة المضرب، أصبحت جابر عنصرا أساسيا في بداية جولة اتحاد لاعبات التنس المحترفات في عام 2017. وقد كان لإنجازها وقع كبير في تونس، وعلى ذلك تعلق جابر بالقول "كان الشعب التونسي راثعا معي لكن الانتقال إلى عالم الاحتراف كان صعبا للغاية".

لم تتوقف مسيرتها عند ذلك الحد؛ فقد فازت بـ 11 لقباً فردياً وبلقب زوجي واحد في منافسات الاتحاد الدولي لكرة المضرب للسيدات. ووصلت إلى نهائي رابطة محترفات التنس عام 2018 في كاس الكرملين في روسيا. وفازت بلقب المرأة العربية للعام 2019 في مجال الرياضة.

وحين بلغت الدور ربع النهائي لإحدى بطولات الغرانด์ سلام مؤخرا،

وتحوّلت قيمة واجتماعية متعددة، حسب تعبيرها. وترى قرامي أن "جابر استطاعت أن تتحوّل إلى نموذج يمكن الاقتداء به فنخرج بذلك من سردية المرأة ضحية العنف إلى المرأة البطلة التي تحقق النصر وتثبت مدى قدرتها على التصميم والكسب وإثبات الذات ورفع الراية التونسية عاليا". وتبين أن "أنس جابر تمكّنت من أن تغبّر الصور النمطية، والتمثيلات الخاصة بالجسد الأنثوي الذي يختزل في الفتنة والإغراء". وتتابع قرامي "هي إذ تتحدّى كل العقبات وتخرق المحلّة والخصوصية في اتجاه العملية تقييم الدليل على أن الأنوثة بناء اجتماعي ديناميكي مرتبط بسباقات مختلفة وليست أوثقة العداة إلا علامة دالة على قدرة بعض الرياضيات على كسب المهارات التي تمكنهن من تقديم أداء متميز. وهو أمر يثبت أن الأنوثة تتشكّل وفق مسارات متنوعة". وأعبت قرامي عن سعادتها بجابر وغيرها من التونسيات اللواتي "بهرن خلال هذا المسار المعقد، فكنّ البلمس والأمل وتمكّن من أن يواجهن رسائل إيجابية تخبر العالم عن منزلة التونسيات ومسيرتهن المشرفة من أجل إعلاء صورة الوطن".

قصة نجاح جابر هي ثمرة سنوات عمل طويلة وطموح "للفوز بدورة الغرانด์ سلام" بدا في سن الثالثة في مدينة حمام سوسة التابعة لمحافظة سوسة الساحلية حيث تعرفت لأول على هذه الرياضة من قبل والدتها. وذكر مدربها في المدرسة نبيل مليكة الذي أشرف على تدريبها ما بين الرابعة والثالثة عشرة من عمرها في تصريحات صحافية سابقة أن "لها طموحا بارزا منذ الصغر"، مشيرا

بتميز جابر. وتقول "رغم أن التنس يعد من الرياضات النخبوية، تمكنت أنس جابر من كسب اهتمام الكثيرين عبر ما حققت من نجاحات". وتعتقد العبيدي أن "رياضة التنس التي فيها بروز لرياضة الفرد، سمحت لجابر بالكتشف عن قدراتها وهو ما جعلها تتألق عالميا".

ويتسق رأي العبيدي مع رأي الكثيرين الذي يعتقدون أن لاعبة التنس نجحت في رسم الفرحة لكل التونسيين، كما قدمت نموذجا مثاليا ونجاحا للمرأة التونسية، حتى باتت قدوة للشبان والشابات. وتقف أمام قرامي، استنادا لدراسات النوع الاجتماعي بالجامعة التونسية، في حديثها لـ "العرب" بالتحليل عند أثر تألق العداة التونسية حبيبة الغربي ولاحقا لاعبة التنس جابر، ضمن سلسلة من الاختبارات الرياضية، في نفوس التونسيين الباحثين

عن بصيص من الأمل في زمن تضاعفت فيه الأزمات والمخاوف، وهو ما يكتسي أهمية كبرى، لتزامنه مع سياق سياسي متوتر وصراع أيديولوجي

وتشجيع كبيرين. واللافت أن الشباب والسياسيين بمختلف أيديولوجياتهم أجمعوا على الإشادة بقدرات الرياضية الشابة. ولم يترددوا في التعبير عن إعجابهم وفخرهم بها عبر صفحاتهم على الفيسبوك أو تغريدات التويتر. ولذلك عبرت جابر عن سعادتها بما تحظى به من دعم وتشجيع، وقالت في تصريحات صحافية "ألتقي رسائل خاصة من أشخاص يستيقظون عند الساعة الخامسة صباحا لمتابعة مبارياتي. أنا فخورة جدا".

نقطة ضوء

ساهم تألق الرياضية التونسية في رفع معنويات الشباب والشارع المنهك جراء فترة انتقالية عسيرة كانت كلفتها باهظة. وفي كل مرة يغرق التونسيون فيها في خضم الأزمات التي تتقاذفهم من كل جهة، والتي جعلتهم يصنفون ضمن الشعوب الأكثر اكتئابا في الأونة الأخيرة، تقدم جابر نموذجا صورة تونس المشرقة القادرة على تجاوز عثراتها بإصرار وثقة كبيرين. فرغم أنها لم تبلغ ربع النهائي وقت بوعدها "وبلغت ثمن النهائي، وهو ما سيفتح لها الطريق مستقبلا لدخول نادي اللاعبات المصنفات ضمن العشرين الأوليات على مستوى العالم، الحلم الذي يراودها منذ الصغر.

يحمل كل إنجاز رياضي لجابر وقعا إيجابيا على كل التونسيين. وتقول الناشطة الحقوقية بشرى بلحاج حميدة لـ "العرب" إن هناك "الكثير من المشاكل التي تحيط بنا. لكن أنس جابر ترفع معنوياتنا دائما". وتتابع "حين لا تكون هناك أخبار مفرحة، يصلنا تألقها عالميا وهو ما يدفعني إلى مواكبة المسابقة التي تشارك فيها دون تردد".

وتصف نجاح جابر بأنه كان "بمثابة نقطة ضوء في عتمة الظلام المحدق بالبلاد في ظل تزايد العنف المجتمعي واستمرار الخلافات السياسية".

وقد تزامنت المسابقات العالمية التي شاركت فيها لاعبة التنس التونسية، في كل مرة، مع تصاعد الجدل داخل الطبقة السياسية غير المنسجمة وتواصل الصراعات بين الأحزاب، وقد تعمقت هذه الصراعات بشكل لافت. ورغم تداعيات المشهد السياسي المضطرب على الشارع، إلا أن جابر استطاعت أن تطرد عنه هموم السياسة ولو مؤقتا، بإهدائه انتصارات رياضية أدخلت النشوة إليه. بدورها تشيد محرزية العبيدي، النائب عن حركة النهضة، لـ "العرب"

وسط الأخبار المقلقة عن ارتفاع مسسوب العنف والجريمة التي تتناقلها وسائل التواصل الاجتماعي بحزن، وفي مناخ الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها تونس، هناك في المقابل من يرفأ أخبارا رائعة للبلاد وأهلها؛ فناة متألقة تنشر الفرح، عبر نجاحاتها وتميزها في المحافل الدولية، في بيوت كل الأسر التونسية.

تقدم لاعبة التنس أنس جابر، ابنة الـ 26 ربيعا التي صعدت مطلع هذا العام لتكون ضمن المراكز الـ 50 الأولى بالتصنيف العالمي لمحترفات التنس ونالت جائزة أفضل رياضية في تونس لعام 2019، نموذجا من قصص النجاح التي تخطها النساء في مجالات مختلفة ومن ضمنها الرياضة.

لا يغنيها توقف مشوارها الذي وصفه المتابعون بـ "الجيد" و"المشرف" عند الدور الرابع من بطولة رولان غاروس الفرنسية، إحدى البطولات الأربع الكبرى، بعد خسارتها مؤخرا، بصعوبة أمام الأميركية دانيال كوليتز، عن التمسك بطموحها في أن تصبح أول عربية تبلغ ربع نهائي البطولة الفرنسية، بعدما أصبحت أول عربية تصل إلى ربع نهائي إحدى بطولات "الغرانด์ سلام" التي تعد واحدة من أكبر أربع بطولات في العالم في كرة المضرب.

صناعة التاريخ

لدى جابر إصرار كبير على صناعة مسيرة تاريخية في مجالها، وهي ذات عزيمة قوية لمواجهة منافسات شرسات في مناسبات لاحقة. وما يحفزها على تحطى الصعوبات والهزائم وغبتها في رفع راية وطنها عاليا في سماء الرياضة العالمية، وأيضا إصرار رصيد الرياضة النسوية، وإثبات قدرة المرأة على المنافسة والانتصار ونيل التتويجات، والقطع مع العقلية الذكورية التي ما زالت مستشرية في البلد، والتي تروج أن الرياضة وكل مجهود جسدي حكر على الرجال فقط.

نجحت جابر في أن تشد إليها الجمهور التونسي الذي غالبا ما يهتم بكرة القدم، الرياضة الأكثر شعبية التي يمنحها الأولوية. وعلى العكس ففي استطاعت كسر الصورة النمطية عن رياضة التنس باعتبارها رياضة نخبوية وجمهورها عادة من "النخبة". ولطالما يقع اتهام هذه الرياضة بوقوعها في فخ الطبقة، حيث لا يلتحق بنوادي التنس إلا من كان من الطبقة المتوسطة والمتوسطة والفقرية محدودة الدخل ولا تقسح المجال أمامهما لاكتشافها بشكل مباشر دون الاكتفاء بمتابعة مقتضبة على التلفزيون.

الجمهور التونسي الذي غالبا

ما يهتم بكرة القدم، الرياضة الأكثر شعبية، أهدى لجابر شعبية كبيرة. وهي استطاعت كسر الصورة النمطية عن رياضة التنس باعتبارها رياضة نخبوية وجمهورها خاص

لكن جابر ساهمت في تصالح فئة الشباب بمختلف شرائحها الاجتماعية مع هذه الرياضة، وبياتت محط اهتمام هذه الفئة ومتابعها مع كل مقابلة تحقق فيها جابر فوزا مباعنا ومبهجا. وكما يتابع عشاق كرة القدم اندبهم المفضلة، استطاعت جابر أن تحظى بنفس المتابعة، التي كتفت عنها وسائل التواصل الاجتماعي حيث تتمتع بدعم